كلام أم المؤمنين
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
"دراسة بلاغية"

إعداد

دكتور

عبد الباري إسماعيل إسماعيل بصل

مدرس البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر

كلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها دراسة بلاغية

عبد الباري إسماعيل بصل

مدرس، قسم البلاغة والنقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، إيتاي البارود ، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: abdelbarybasal.2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث

هذا بحث بعنوان (كلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها دراسة بلاغية) جمعت فيه ما توفر لدي من نصوص تكلمت بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وحاولت توثيقها قدر الجهد من كتب السنة والتاريخ فتوفر لدي عدد لا بأس به من النصوص فقمت بتحليلها بلاغياً محاولاً كشف اللثام عن بعض الخصائص البلاغية التي تختبئ في كلام الجيل الذي نزل القرآن يتحداه وبخاصة لغة النساء

من هذا الجيل، والمعروف عن أمنا خديجة أنها أول من احتضن البذرة الأولى لهذا الدين الحنيف وأخذت بين يديها القطرة الأولى لهذا الغيث العميم فاستحق ما قالت أن يدرس ويحلل للوقوف على خصائصه . وقد تناولت كلامها وهي أم وزوجة وراعية لدعوة تشق طريقها بين ظلمات الجهل الذي كاد يقتل كل خير وجوانب أخرى تظهر بين جنبات صفحات هذا البحث. والله المستعان.

الكلمات المفتاحية: أم المؤمنين – خديجة بنت خويلد – السنة النبوية – البلاغة التحليلية

The Words of the Mother of the Believers, Khadija Bint Khuwaylid, May God be Pleased with her A Rhetorical Study

Dr. Abdul Bari Ismail Basal
Lecturer, Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Itay El-Baroud, Arab Republic of Egypt
abdelbarybasal.2034@azhar.edu.eg

Abstract: This is a paper entitled (The Words of the Mother of the Believers, Khadija Bint Khuwaylid, may God be pleased with her, a rhetorical study) in which I collected all the texts I had available to me. They tried to unveil some of the rhetorical characteristics that hide in the words of the generation that descended the Qur'an, challenging it, especially the language of women
From this generation, known for our mother Khadija, she is the first to embrace the first seed of this true religion and took in her hands the first drop of this general ghaith so she deserved what she said to study and analyze to find out its properties. She addressed her words as a mother, wife and shepherd to a call that makes its way between the darkness of ignorance, which almost killed all the good and other aspects that appear between the pages of this research.

key words:
Mother of the Faithful - Khadija Bint Khuwaylid - Sunnah of the Prophet - Analytical Rhetoric

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، الذي بحمده تدوم النعم ، وبرحمته علم الإنسان بالقلم، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد – ﷺ – مُخرج الناس من ظلمات المهالك وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأخيار . وبعد ،

فإن الجيل الذي نزل عليه القرآن الكريم دون منازع هو الجيل الذي اكتملت على لسانه العربية، وهو واسطة عقد الأجيال كلها من سبقه ومن لحقه، وأوتي من الحكمة وعلم اللسان ما لم يؤته جيل قبله؛ إذ إنه الجيل الذي أدرك مراد الله من كلامه فآمن منه من آمن وأعرض من أعرض غير منكر لإعجاز القرآن بل معترف بفطرته بتلك اللغة الساحرة التي بها نزل القرآن الكريم على قلب سيد البشر ﷺ. وكان من أهم الشخصيات في هذا الزمان أمنا خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها وأرضاها-، التي كان لها الدور الأساس في بناء الصرح الإسلامي ودعوته الكبرى بل هي من شهدت وشاركت في وضع أساس تلك الدعوة الغراء.

وخديجة رضي الله عنها كاملة بشهادة سيد البشر ﷺ وكان لها رضوان الله عليها كلام عظيم وجمل في غاية البلاغة وإن كان ما وقفت عليه منه يسير فأردت أن أستعرض كلامها رضوان الله عليها بالدراسة لافتًا النظر إلى ذلك السمت العالي من البلاغة فجاء البحث بعنوان " كلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها "دراسة بلاغية" وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:

أولًا: الوقوف مع لغة الجيل الذي أدرك مراد الله من كلامه واخترت من هذا الجيل أمنا الكبرى خديجة- رضي الله عنها- كونها أول قلب فتح للإسلام بعد رسول الله ﷺ.

ثانيًا : الكشف عن جانب من بلاغة أم المؤمنين خديجة . رضي الله عنها. لاسيما وهي صاحبة أول بيت إسلامي وهي اليد الأولى التي

سقت ورعت شجرة الدين حتى أخرج ثماره وكان لها في هذا البناء جمل وكلام في غاية البلاغة مع سهولته ويسره.

ثالثًا : الإسهام بهذا الجهد المتواضع في هذا الباب من العلم ألا وهو باب كلام الصحابة . رضي الله عنهم . ودراسته دراسة مستوعبة لمنجزهم الكلامي.

*** منهج البحث :**

وقد أتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي، حيث جمعت ما توفر لدي من كلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وحللته تحليلاً بلاغيًا يناسب المقام الذي تكلمت فيه ، وحاولت إظهار السمات البلاغية وما يحمله هذا الكلام من معان وما يبديه من دروس في كلامها رضوان الله عنها كلٌ في موضعه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقع في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وفهارس.

أما **المقدمة** فقد شملت عنوان البحث ، وأسباب اختياره ، ومنهجه ، وخطته . وقد اشتمل **التمهيد** على :

أولاً : لمحة من حياة أم المؤمنين **خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .**

ثانيًا : مدخل إلى كلامها.

- أما **المبحث الأول:** فقد جاء بعنوان "أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أمًا".
- أما **المبحث الثاني** : فهو بعنوان "أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وإرساء قواعد الإسلام ".
- أما **المبحث الثالث** : فقد جاء بعنوان "السلام على خديجة رضي الله عنها".
- أما **المبحث الرابع** فقد جاء بعنوان "سؤال خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ هل في الجنة قصب" .

وقد اتبعت ذلك **بخاتمة** فيها أهم الصعوبات التي واجهت الباحث وأهم ما توصل إليه من نتائج. ثم جاء **ثبت** بكلامها رضوان الله عليها حسب ما توفر لدى الباحث من مراجع. ثم أتبعت ذلك بفهارس فنية.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وعرفاني لكل من ساعدني في إتمام هذا العمل فما كان من توفيق فمن الله وما كان من نقص فمن نفسي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

عبد الباري إسماعيل إسماعيل بصل
مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية
بإيتاي البارود
جامعة الأزهر

التمهيد

أولاً: لمحة من حياة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي. كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت تستأجر الرجال من قريش للتجارة في مالها" (١).

إنها أول من آمن بالمصطفى ﷺ وشاركته في عبادته الأولى . هي قرشية من ناحية الأب والأم ، تزوجت قبل النبي ﷺ برجلين هما : أبو هالة هند بن زرارة التميمي . وولدت له هندًا ثم مات عنها.

وتزوجت بعده عتيقًا المخزومي، وأنجبت له بنتًا ، ثم مات عنها فعاشت بعده تتاجر في مالها، ما لها في الرجال حاجة ،عفيفة طاهرة تقدم لخطبتها كبار رجالات مكة لكنها كانت تعرض لا لقلة شرف الخاطب ولكنها كانت تأبى في سماحة.

وشغلت نفسها بإدارة مالها رضوان الله عليها وأرضاها . إلى أن ملأ سمعها غلامها ميسرة بحديثه عن رسول الله ﷺ بعد رجوعهما من التجارة التي قد أوفدت فيها النبي ﷺ وغلامها ميسرة إلى الشام فمنت نفسها بالزواج منه.

- وألقت بسرها عند إحدى صويحباتها، فسعت صاحبتها في هذا الزواج حتى تم.
- وعاشت مع حبيبنا محصنة بحصن النبوة تحتضن الشرف والعز وتمد له يد العون والمساندة متى استدعت الحاجة.
- فأنجبت له الولد بنين وبنات ، ولازمت المصطفى في أفراحه وأتراحه حتى في الحصار كان شريكته.

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ١/١٧١ ط دار الحديث القاهرة سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

- أسست أول بيت إسلامي على وجه الدنيا فبنته بالمحبة والطاعة والمساندة والحنان والعطاء اللامحدود.
- وقد سلَّم عليها ربنا تبارك وتعالى وحمل السلام أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى أمين الله في أرضه محمد ﷺ.

وبعد سيرة مليئة بكل معاني التضحية والوفاء نامت الطاهرة على فراش الموت لتنقضي بذلك أجمل قصة في حياة المصطفى . ﷺ ويبكيها المصطفى ﷺ ويُسمي العام الذي ماتت فيه عام الحزن وكان دائمًا كثير الذكر لها بعد وفاتها فرضي الله عنها وأرضاها.

ثانيًا : مدخل إلى كلام أم المؤمنين خديجة رضي اللّه عنها :

في بادئ الأمر يجب على من يتفحص كلام الجيل الذي تحداه القرآن تحديًا مباشرًا أن يدرك أن الأمر ليس هينًا فإدراك معاني كلامهم قريب جدًا من إدراك ما في القرآن من معان لأنه الجيل الذي خبر مقتضيات الأحوال، وعرف كيف يضع كل كلمة في موضعها الذي لا تنبو عنه دون زيادة أو نقصان، وعلى الباحث أن يقف وجلًا مع هذا الباب .

وقد وقفت مع نصوص عثرت عليها معدودة لأمنا الكبرى خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها فوجدت مفتاحًا لكلامها وعبقريتها وبصمة قولية لها تميزها عن كلام من هم على شاكلتها سواء في زمانها أو بعده بيسير من أمهات المؤمنين.

وهذه البصمة تظهر جليًا عندما نستظهر النصوص فنجدها مكنونة في أمور من أهمها :

أن كلامها دائمًا ينصب على بناء البيوت وإعمارها من الناحية الأسرية والتنظيمية ،تعرف مقدارها أمام زوجها ،هي زوجة وأم وحبيبة ومساندة تدير البيت وترعي الأبناء وتساند الرجل لا يشتمل كلامها أحكامًا ولا تشريعًا إذ ربما تكون أغلب التشريعات لم تصدر بعد ولم يحن وقتها بل كانت الدعوة في مهدها فإذا وجدت كلامًا يفوح بعطر البيوت وهدوءها ومواساة الرجل ومساندته والوقوف في ظهره في زمنهم فاعلم – حماك الله – أنه لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ولهذا كانت بشراها من الله "بيت من قصب لا صخب فيه ولا وصب" ولعل القارئ الكريم يدرك لماذا كان جزاؤها بيتاً وليس قصرًا أو غيره ،واعلم أن لمشايخنا شراح الحديث في هذا كلام كثير لكن ما تميل إليه نفسي وما يطمئن إليه فؤادي أن أم المؤمنين خديجة أول من أسست بيتًا في الإسلام على نهج الإسلام خالٍ من الصخب والوصب والنصب فكان جزاؤها من جنس عملها .

هذا هو مفتاح كلامها وبصمتها رضوان الله عليها لمن يريد أن يعلم.

المبحث الأول

خديجة أم المؤمنين أماً

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمْرَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهَا الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ لَمَّا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ . ﷺ . قَالَتْ خَدِيجَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رَضَاعَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ . " إِنَّ تَمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ " . قَالَتْ لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ . " إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ " . قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"(١) .

هذا حديث أُسَرِي دار بين زوجة ثكلى تنفس عن نفسها وتحاول البحث عن مخرج لنفسها من ألم فراق الولد، وهو ألم – نعوذ بالله منه – يفتت الفؤاد ، ويقرح الكبد.

فنطق لسانها بكلام يعبر عما بها من حرقة، تريد من زوجها الذي يرتقي الدرجة العالية الرفيعة عند ربه الذي بيده ملكوت السموات والأرض أن يجد لها مخرجًا من هذا الألم وتلك الحرقة التي قرحت فؤادها. فكان في ردهﷺ شفاء عاجل وتام وأعلمها أن ولدها يكمل رضاعته في الجنة فزادت في طلبها أنها لو علمت ذلك عيانًا ليس تكذيبًا لخبر المصطفى ﷺ ولكن استجابة لعاطفة الأمومة التي تتجاوز كل الحدود ، فأخبرها بأنها لو أرادت لدعى الله لها فأسمعها صوته حتى يرتاح قلبها ويطمئن، لكنها آثرت أن تصدق المصطفى ﷺ بالغيب دون العيان وتلك منزلة رفيعة يختارها من يعرف قدرها.

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه رقم ١٥١٢ ت محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد للشيخ محمد يوسف الصالحي الشامي ٣١/١٠ دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ت عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض.

هذا النص الشريف يكشف عن طبيعة كلام النساء وسمات غالبة عندهن وخصوصًا أن هذا النص ليس من أي أنثى إنما هو من الكاملة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها جاء في أسلوب حواري بينها وبين صاحب المقام المحمود ﷺ.

فبدأت الحديث بقولها " يا رسول الله " هذا النداء الطيب استخدمت فيه أمنا رضي الله عنها حرف النداء "يا" بدلاً من الهمزة .

مع أن الرسول ﷺ قريب منها ، ودليل قربه منها بقية الحديث والحوار الذي دار بينهما لكنها استخدمت الياء لتنفس عن نفسها بحرف يمد فيه الصوت فيخرج زفرات الأم المكلومة التي ما دعاها إلى هذا الحديث إلا وجعها الذي يفور بداخلها مع أن القاسم ليس بكرها من الأولاد إلا أنه لو لم يكن بكرها فهو بكرها من رسول الله ﷺ في البنين.

وقد يحتمل أيضًا هذا النداء تعظيم المنادى، والحفاظ على المسافة التي بين طرفي الحوار ، فأرادت أن تضع النبيﷺ في مكانه المعظم ، فاستخدمت (يا) التي تشير إلى المكانة العظيمة التي فيها النبي ﷺ.

وفي هذا الاستعمال إشارة من طرف خفي إلى أنها تبحث في هذا التعظيم عن حل لما هي فيه فهي توحي بأنها تريد تريد منه لمكانتة العظيمة عند ربه أن يجد لها حلًا لما هي فيه من حرقة على ولدها. وفي هذا النداء أيضًا " يا رسول الله " تعظيم وتشريف لمقام المصطفى ﷺ مع أنها قريبة عهد بندائها له (يا محمد) أو يا أبا القاسم بلا ألقاب ولم تكن آيات التشريع قد نزلت لتوضح للمسلمين كيفية نداء المصطفى كآية النور ﴿**لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾[1] لكنها خديجة التي تعلم الدنيا الأدب في حضرة المصطفى ﷺ قبل أن يتنزل التشريع بالأدب ، فكأن التشريع قد جاء بعد ذلك ليوافق ما قالت ويؤيده.

(١) سورة النور آية رقم (٦٣).

وهذا يظهر أدبها في التعامل في بيتها مع زوجها، وتلك قيمة إذا فقدت في البيوت فإنه يترتب عليها من عدم الاستقرار ما يترتب. ويبرز أيضًا العقل الذي كانت تتمتع به أمنا الكبرى رضوان الله عليها في فهم مراد الله من خلقه.

ويبرز إدراكها لمكانة زوجها صاحب الرسالة محمد ﷺ. واختيارها لقب (رسول الله) الذي هو أعظم ألقاب المصطفى ﷺ . أنها تريد أن تنسج على الخيط نفسه الذي انتهجته في هذا الحديث وهو محاولة إيجاد حل والخروج من الألم فكأنها تقول له أتوسل إليك بأحب الألقاب وأعظمها أن تتوسل إلى ربك بأعظم مكانة وهي الرسالة أن تجد لي مخرجًا ومهربًا من هذا الألم.

وفي الأسلوب الندائي " يا رسول الله " تنبيه للمخاطب حتى لا ينازع المتكلم في عقل المخاطب شيء آخر وهذا يبرز حجم المصيبة التي تلم بالمتكلم فتريد أم المؤمنين بهذا النداء أن توجه عناية سيد الخلق ﷺ إليها وتلفت كامل نظره واهتمامه إلى حالها مع يقينها بأن حال المصطفى ﷺ في فراق بكره من الذكور لا يقل ألمًا ووجعًا عن أمه بل يزيد .

لكنها هنا تريد أن تكشف عن نفسها فقط فما عادت تتحمل . وكأننا بأم تتوقع من زوجها الجلد وفي نفسها الجزع تلك الرؤية من أم المؤمنين . رضي الله عنها. تعكس كمال خلقها في إعظام شأن زوجها في كل صفاته.

* ثم تأتي الكلمة الأم في هذا النص الشريف وهي كلمة "دَرّت لبينة القاسم" .

الدر : هو اللبن إذا اجتمع في الضرع من العروق وسائر الجسد.[١]

اللبنة : الطائفة من اللبن، واللبينة تصغيرها.[٢]

اللفظة الأم في هذا الحديث الشريف هو (درت) حيث تصور إحساس أم المؤمنين في حزنها على ولدها ، فبحمل الكلمة على حقيقتها يكون الدر قد

(١) لسان العرب مادة (د ر ر).

(٢) لسان العرب مادة (لبن).

حدث فعلًا وأمنا تنقل لنا وجعها بهذا الوصف فعند الدر دون إنزال اللبن يحدث للأم من الألم ما يتعبها فاستخدمت أم المؤمنين هذه الكلمة المعبرة لتنقل للمصطفى ﷺ ما يحدث لجسدها من ألم ووجع إثر نزول لبن القاسم في ثديها وقد عدمت من يزيل عنها هذا الوجع وهو ولدها . وهذا وجع فوق وجع الفراق فقد احتواها الألم من الداخل والخارج.

قال الحربي "أرادت أنها حزنت عليه حتى در لبنها عليه" (١).

أو قد تحمل على الكناية فهي تقول " درت لبنية القاسم" كناية عن شوقها لولدها بهذه اللفظة التي هي مدار الحديث.

والسر في جعل هذه الكلمة هي حجر الرحا في الحديث أن الحديث كله يدور على الاستدرار والاستعطاف والاسترحام وطلب الشفقة من السامع.

فأم المؤمنين تستدر عطف حبيبنا ﷺ وتستدر عطف ربها على حالها فكانت الكلمة هي المناسبة تمامًا لمكانها في الحديث ، حيث يخيل للقارئ أن الحديث كله يدور بشكل دولابي حول هذه الكلمة الجميلة.

وفي الكلمة تظهر طبيعة كلام النساء حيث استخدمت ما هو من طبيعة الأنثى في أسلوب حوارها مع النبي ﷺ وهي صفة الدر للبن، إذ هي صفة لا تستخدم في الذكور وتنحصر في الإناث فكانت من العلامات المميزة للأنثى عن الرجل.

ونجد جملة (درت لبينة القاسم) تستدعي الجملة الثانية التي بعدها وتلدها وهي "فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه" وهي جملة شرطية مصدرة بـ(لو) محذوف جوابها وتقدير الكلام " فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه كناية أحسن ، أوحيت بذلك" إن الناظر في هذه الجملة دون سياقها قد يقع في محظور الفهم فقد يظن بالكاملة رضي الله عنها عدم الرضا بقضاء الله تعالى.

(١) ذخيرة العقبي في شرح المجتبي على سنن النسائي ١٣٢/٣ محمد بن على الأنبوبي ، دار المعراج الدولية للنشر ط ١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

ولكن السياق يخالف هذا الفهم حيث إنه لم يأت سياق اعتراض وعدم رضا إنما هو سياق أم تنطق بفطرتها الأنثوية الطاهرة أم جرحت بفراق بكرها فقط فهي تريد تصبير نفسها فقط وقد انتقلت (لو) من الامتناع إلى التمني لأنها تعلم أن ما تقوله لن يحدث ولكنه نوع من التخفيف عن النفس.

ثم يرد عليها المصطفى ﷺ " إن تمام رضاعه في الجنة" هي إجابة عن تمني خديجة . رضي الله عنها . بأسلوب الحكيم الذي يخبر من الحقائق ويضمد الجرح يلفت نظرها إلى السؤال المهم وهو أين يتم رضاعه ، ويطيب خاطرها بأنه يستكمل رضاعه في الجنة ، وجاء ذلك بأسلوب خبري لا يحتمل إلا صدقًا ولا يقبل كذبًا لأنه خبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

فردت أم المؤمنين على سيد المرسلين " لو أعلم ذلك يا رسول الله " يخطر ببال القارئ للوهلة الأولى أنها تشك في خبر الصادق المصدوق ﷺ لها ، ولكن بالتأمل في الكلام ينتفي الشك وينتفي عن خديجة . رضي الله عنها. هذا الأمر أيضًا ذلك أن (لو) هنا تحمل على التمني أي أنها تمنت على رسول الله ﷺ أن ترى ذلك بأم عينها ليس تشكيكًا وإنما راحة لقلبها ولكي تقر عينها برؤية ولدها وكأنها تقول لو جاز ذلك في الدنيا ويؤيد ذلك جملة جواب الشرط وهي " لهون عليَّ الأمر" فموقفها هنا كموقف سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿**بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[1] واستخدامها الفعل (أعلم) بدلاً من (أرى) مثلًا لأنها تعلم علم اليقين أن تحقق الرؤية أمر مستحيل في الدنيا فآثرت العلم بأي طريقة حتى يكون في الأمر سعة.

وهذا ينبئ عن لهفتها وحرقة قلبها فهي تبحث عن الاطمئنان من أي طريق وبأي شكل فجعلت في الأمر سعة وهو العلم إذ الرؤية أخص من العلم لأنه يشملها ويخبرها.

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠.

وهنا يستجيب المصطفى ﷺ لرغبتها تحننًا عليها وعلى قلبها المنفطر ويضع الأمر بين يديها كالذي يمحص قلب الذي أمامه فيقول "إن شئت دعوتُ اللهَ لك فأسمعك صوته" فهو هنا أدخل (إن) التي تفيد الشك على فعل المشيئة الذي لا يفيد يقينًا" وكأن المصطفى ﷺ يضع الأمر بين يديها ويعطيها الطريق القويم للإجابة بالشك في المشيئة فكأنه يبرز لها الأمر بأن لا تشاء، وهو أسلوب عجيب في الأدب النبوي في الإرشاد والتقويم، ومعالجة مثل هذه المواقف فهو يغمرها بعطفه وحنانه ويجعل الأمر بين يديها ولكن يدلها على الأفضل وهو إيمان الغيب كما قال الإمام السهيلي رحمه الله " وهذا من فقهها رضي الله عنها، كرهت أن تؤمن بهذا الأمر معاينة، فلا يكون لها أجر الإيمان بالغيب"(١).

وهي هنا استنبطت الإجابة من قول المصطفى ﷺ " إن شئت" وفي الجملة تعليق الأمر عليه ﷺ فهو من سيدعو الله لها فيسمعها صوته، وكأنه يجيبنا عن اختيارها لكلمة (أعلم) السابقة الذكر، فالمتاح في هذه الحالة أن تسمع صوته أي غير ذلك فلا ولا يكون لها أجر الصبر. لكنها آثرت رضي الله عنها أن تستحوذ ذلك جزاء الصبر على فقد الولد وفراقه ، وأجر الإيمان الغيبي وكما قال الإمام السهيلي سابقًا فقالت " بل أصدق الله ورسوله " وهي جملة ليست جديدة على خلق خديجة رضي الله عنها فقد صدقته في أن وحي السماء يأتيه ، أفلا تصدقه في مثل هذا؟ ولكنها أرادت أن تثبت الأمر وتؤكده وتهيئ نفسها لتقبل الأمر بهذه العبارة ، وكأنها اختارت الجزاء الكامل على فراق الولد، والإيمان بالغيب، ولتقطع الطريق على نفسها في أن يكون إيمانها نابعًا عن مادة بل هو نابع عن روح وغيب وهذا لا شك أعلى مراتب الإيمان.

(١) إرشادات الساري لشرح صحيح الباري ٤٦٩/٢ المطبعة الكبرى الأميرية الطبعة السابعة.

وفي هذا يتمثل خلق الزوجة المسلمة التي تؤمن بما يقول زوجها الصادق وتضرب أروع الأمثال لكل الأمهات الثكالى في الإيمان والصبر فجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ورضي الله عنها وأرضاها ولا حرمنا رؤيتها وحنانها في مستقر رحمته .

والله أعلم.

المبحث الثاني

أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ وإرساء قواعد الإسلام

عن أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، عَنْ أم المؤمنين خَدِيجَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ : قلت : لرسول الله ، يَا ابْنَ عَمَّ ، أَتَسْتَطِيعُ إِذَا جَاءَكَ الَّذِي يَأْتيكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بهَ ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَتْ خَدِيجَةُ : فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيه السَّلَام ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا عِنْدَهِ ، فَقَالَ: « يَا خَدِيجَة هَذا صَاحِبي الَّذي يَأْتِيني قَدْ جَاء » ، فَقُلت لَهُ : قُمْ فَاجْلِس عَلَى فَخْذَيّ، فَجَلَس عَليهما، فَقُلْتُ: هَلْ تَرَاه ؟ فقال : نَعَم. فَقُلْتُ: تَحَوّل فَاْجلِسْ عَلَى فَخْذِي اليُسْرَىٰ ، فَجَلسَ، فَقُلْتُ: هَلْ تَرَاهُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ». قَالَتْ خَدِيْجُة: فَتَحَسِرْ فَطَرَحْتُ خِمَارِي، فَقُلْتُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قال: «لا» .فَقُلْتُ: هَذَا واللهِ مَلَكٌ كَرِيْمٌ ، واللهِ مَا هَذَا شَيْطَانٌ. (١)

هذا النص الشريف ترويه أمنا عن أمنا رضوان الله عليهما ، تقول أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها "قلت لرسول الله ﷺ: يا ابن عم" كما سلف في البحث أن هذا أدب تربت عليه أم المؤمنين خديجة . رضي الله عنها. فهي تعرف قيمة زوجها تدرس الأدب في احترام النبي قبل أن يتنزل القرآن في هذا الشأن. وقولها " يا ابن عم" هي صيغة مشهورة في زمانهم فيها من التودد والإشفاق شيء عظيم تختارها من تجيد حوار المصطفى ﷺ ثم تأتي جملة " أتستطيع إذا جاءك الذي يأتيك أن تخبرني" مما يلفت النظر في هذه الجملة السابقة هو الاستفهام بالهمزة حيث استعملتها أم المؤمنين دون غيرها من أدوات الاستفهام؛ وذلك لأنها تستعمل في التصور أو التصديق، وهي هنا

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط برقم ٦٤٣٥ ، قال حديث حسن. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ٢٠/١ ت د/ محمد رواس ، عبد البر عباس دار النفائس – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. أورده ابن حجر رضوان الله عليه في فتح الباري ٧٢٠/٨ ط دار المعرفة بيروت ت- محمد فؤاد عبد الباقي. وينظر أيضاً : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحق والمتاع للمقريزي ٢٠٠/٣٠ ت محمد بن الحميد النميسي دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

للتصديق لأنه قد وليها فعل[١] ، ولم تقم قرينة على أنها للتصور كذكر المعادل[٢] والسؤال ما السر في استخدام الهمزة للتصديق وإيثارها عن أم الباب في السؤال عن التصديق (هل)؟ أو لماذا آثرت الهمزة على هل هنا مع أن السؤال للتصديق؟ الإجابة تكمن في نفسية أم المؤمنين رضي الله عنها فقد رأت من حال المصطفى ﷺ عندما كان يأتيها قبل ذلك وقد جاءه الوحي من عدم القدرة على تملك نفسه فهي هنا تسأل عن استطاعته في هذه الحالة التي يكون عليها ويختبئ خلف الهمزة التصديقية أنها تريد تحديد نوع الكائن الذي يأتيه فيشم هذا من استعمال الهمزة ولا يتأتى هذا بغيرها من أدوات الاستفهام . وهذا أدب من أم المؤمنين فهي جمعت سؤالين في سؤال وهو سؤال عن الاستطاعة ، وسؤال عن نوع من يأتي المصطفى ﷺ ، وهذا تخفيف عن سيدنا المصطفى ﷺ من زوجته يظهر في لغتها واستعمالها للألفاظ.

وإذا كانت تسأل عن استطاعته التي قد تشك في قدرته على الإبلاغ عما في نفسه في هذه الحالة، وتشير من طرف خفي إلى ما تريد معرفته والتثبت منه وهو أن ما يصيب النبي ما هو إلا وحي ليس غير قالت له من فورها بعد ما أخبرها بمجيئه "قم فاجلس على فخذيّ" ، وكأنها تجري اختبارًا دقيقًا لمسألة علمية ستحكم بعدها حكمًا عامًا وستصل إلى نتيجة ، فأخذت في تجربة تدريجية تختبر بها وجود ذلك الذي يأتي المصطفى ﷺ "وهذا يدل على كمال عقلها وقوة معرفتها"[٣].

وهنا يطرأ على الذهن سؤال ، لماذا اختارت تلك الهيئة للاختبار؟

---

(١) بغية الإيضاح ٩٦/١.

(٢) السابق ٩٦/١.

(٣) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح البخاري لشمس الدين السفيري ٢١٧/١ ت أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

والجواب يكمن في خبرتها وتجربتها فهي تعرف أن هناك فرقاً بين الملك والشيطان ، فالملك لا يوجد في مكان فيه عورة مكشوفة ، فاختارت حالة اختبارية للشخص الموجود ، تلك الحالة هي حالة خلوة الرجل بأهله ، ثم بدأت بمقدمات ليس فيها كشف عورة يستوي فيها حضور الملك والشيطان فأجلست المصطفى ﷺ على فخذيها فما إن تأكدت من وجوده، بدأت في كشف جزء من عورتها وهو حسر الرأس وكشف الخمار وكأنها تختبر بأدب جم فإن اختفى تأكد لها ملائكية من تراه، وإن لم يختف كانت على يقين أنه شيطان يعترض زوجها. وما إن حصل تأكد الملائكية حتى آمنت وأسلمت وغرست بيدها الشريفة شجرة الإسلام وروتها بكل ما تملك من وسائل الإنبات الصحيحة.

فقالت : " هذا والله ملك كريم ، والله ما هذا شيطان" حكمت حكمًا عامًا عمليًا على ما يحدث لزوجها رسول الله ﷺ ، تقصد منه على غير المعتاد البناء والسير على الطريق وكأنها من طراز فريد.

فالغالب في النساء ما إن يصاب زوجها بشيء حتى تهم بإبعاده عنه ، وتثبيط همته حتى يقر بجوارها هانئ البال هانئة به لكنها على عكس الكثير الغالب ، تجيب على زوجها إجابة فيها تحمل المسئولية ، والوقوف بجواره ، والدفع به ليكمل مسيرته التي بدأت للتو غير عابئة بما فيها من متاعب وتلك نفوس الكبار وسماتها ، " هذا والله ملك كريم" تصريح بصحبته والمضي معه، حيث شاء والله ما هذا بشيطان استخدمت التوكيد المضاعف بالقسم واسمية الجملة لنفي صفة الشيطنة عما يأتي النبي ﷺ وإثبات أنه ملك كريم والقسم المكرر هذا ينبئ عن نفسية أم المؤمنين فهي ما حلفت إلا لقوة تأكدها مما أمامها . رحم الله أم المؤمنين ورضي عنها .

والله أعلم

*** حدثنا أحمد بن عبد الخيار يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت : " لَمَّا أَبْطَأَ الوَحْيُ على رسول الله جَزِعَ مِنْ ذَلِكَ جَزَعًا شَدِيْدًا فَقُلْتُ لَهُ مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ ، لَقَد قَلاكَ رَبُّكَ مِمَّا يرىٰ مِنْ جَزَعِكَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ : "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"[1] .**

قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله : " فالذي نظنه أن احتباس الوحي في هذه المرة كان لمدة نحو اثنى عشر يومًا، وأنه ما كان إلا للرفق بالنبي ﷺ كي تستجم نفسه وتعتاد قوته تحمل أعباء الوحي إذ كانت الفترة الأولى أربعين يومًا، ثم كانت الثانية اثنى عشر يومًا أو نحوها فيكون نزول سورة الضحى هو النزول الثالث ، وفي المرة الثالثة يحصل الارتياض في الأمور الشاقة"[2].

قصدت هنا نقل هذه العبارة عن الشيخ الطاهر بن عاشور لأن مقولة أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها هي السبب الرئيس في نزول سورة الضحى مستأنسًا بما يقول الشيخ على ميلي إلى أن القول الذي بين يدي التحليل هو قول أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ينقل هذا القول من أقوال أم المؤمنين خديجة . رضي الله عنها. حالة من حالات متابعتها المستمرة لحياة زوجها ؛ ليعكس لنا خلقًا من أخلاق تفضيل خديجة على نساء العالمين كما ثبت عن النبي ﷺ حيث قال " أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون"[3] شغلت بالها بالمصطفى ﷺ فهو منها في القلب والعين ترعاه ، وتحميه وتشد أزره حتى إنها لتتابع حالته في نزول الوحي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم ٤٢١٤، ٦٦٧٩٢ ت مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. وفي نسبة الحديث لخديجة قول كثير وردود وردت في عمدة القارئ لبدر الدين العيني ٢٠٠/١٩ والراجح أنه لخديجة رضي الله عنها.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٢٩٣/٣٠ ، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤م.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم ٤١٦٠. وقال حديث صحيح.

وتحمل هم الرسالة كما يحملها المصطفى ﷺ وتشاركه في توجع وحنو وصبر. ودليل توجعها هذا النص الذي بين يدي التحليل.

قال الواحدي : تعليقًا على هذا القول " قالته خديجة توجعًا"[1] قالت "لما أبطأ الوحي على رسول الله ﷺ ثم استخدمت الإبطاء لا الانقطاع تأدبًا مع الحبيب ، والزوج وأملًا في أن يكون ما حدث من فتور الوحي إبطاءً لا انقطاعاً. وهذا الكلام يصف الحالة الأولى لنزول الوحي ، وينقل لكل ذي لب أن الوحي من عند الله لا من عند رسول الله ﷺ . فهو قد تعرض في مبدأ الأمر للإبطاء وغيره وقد حدث ذلك أكثر من مرة مع المصطفى ﷺ ليصفع وجوه القائلين إن الوحي من عنده إذ لو كان من عنده لما أبطأ عليه. قالته عندما أبطأ الوحي على رسول الله ﷺ حسب تعبير أم المؤمنين خديجة التي تدرس أدب أصحاب الرسالات فهي لا تستعمل كلمات تشق على المصطفى ؛ إذ كفاه ما هو فيه من حالة نفسية لغياب الوحي ، وكأن خديجة تواسي النبي ﷺ باختيار ألفاظها ، متوجعة على ما يصيبه.

ثم علقت لمقولها له مقدمة العلة على القول حتى ترفع من خلد السامعين توهم تجرؤ المرأة على زوجها ولتثبت أن مقصود كلامها إنما هو زرع الثبات في قلب زوجها . فقالت : فقلت له : " لما رأيت من جزعه" أي أن كلامها يُخَرَّجُ على الإشفاق على زوجها وينقل لنا الحالة النفسية التي كان عليها المصطفى عند غياب الوحي عنه ، والفعل رأى يفيد المعاينة اليقينية من السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ فهو أمام عينها لا تغفل عنه " ومن جزعه " جملة تفيد مدى تحمل المصطفى وأن ما كان يظهر عليها إلا اليسير لو حملت من على التبعيض وهذا دليل على ثبات المصطفى ﷺ ، والجزع

(١) أسباب النزول للواحدي ٤٥٧/١ ت عصام الحميدان – دار الإصلاح الدمام ط الثانية – ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

ضد الصبر، وكأنه يعلم أنه سيأتي لكنه يستبطأ المجيء ، ولو كان الأمر بيده لجعل نفسه في معية الوحي.

ثم جاءت كلمة خديجة رضي الله عنها " لقد قلاك ربك" إن لهذه الجملة وقعًا شديدًا على الأذن ؛ لأن القلى معناه البغض [1]، وما كان من زوجة تعلم الدنيا الأدب أن تواجه زوجها بمثل هذه الكلمة، ولكنها رضي الله عنها مهدت للأمر بالجملة التي قبل ذلك وأخرجت الأمر للإشفاق فقط وليس المراد أن تسمعه شيئًا يكرهه.

ويحتمل أيضاً أنها تحذره إن بقى على هذه الحال من الجزع فسيصدق عليك قول قومك إن ربك قد قلاك فجملة "لقد قلاك ربك" جملة خبرية تنبه أن الكلام له واقع يصدقه أو يكذبه، فهي تقول إن جزعك سيجعل كلام قومك يتحقق أو يجعلهم يتأكدون أنهم على حق فكأن كلامها يحمل معنى التحذير من الحالة التي رأت المصطفى ﷺ عليها وهي الجزع الشديد، ثم أنزل الله تعالى تصديقًا لكلامها وتأييدًا لما تتمناه خديجة سورة الضحى المباركة " وما ودعك ربك وما قلى" كما سبق التحليل في البداية.

والله أعلم

(١) لسان العرب مادة (قلى).

عن عَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ أنها قَالتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِيء بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ- وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيء، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِيءٍ". قَالَ :"فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ، مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِين عَلَى نَوَائِبِ الْحَقّ"(١).

يرجع المصطفى ﷺ وهو يحمل هم الإنسانية إلى السيدة خديجة رضي الله عنها ، وهو هم له ثقله فهو ممتد منذ نزول الوحي إلى الأرض على قلب النبي ﷺ إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها ، هذا الهم الممتد يتطلب في النفس المستقبلة جلدًا وصبرًا. يرجع المصطفى ﷺ بعد رؤية جبريل ونزول الوحي عليه وهي رؤية غنية عن الوصف فيها من أخذ الفؤاد ما فيها بل إنه لم يره فحسب إنما ضغطه ثلاث مرات أفضل ما يُقال في شدتها وصف المصطفى ﷺ " حتى بلغ مني الجهد " فأحس وأنا أسطر هذه الكلمات أن النبي ﷺ قد لاقى من لقاء جبريل جهدًا تنوء بحمله الجبال ثم تلقى أول قطرات الوحي وهذا جهد آخر وهم زائد فيأتي النبي ﷺ إلى بيته ترتعد فرائصه لا تكاد

(١)أخرجه البخاري باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم ٧/١.

أقدامه تحمله من شدة التعب، وأرى أن المصطفىﷺ لو لم يكن يعلم ما في خديجة . رضي الله عنها. من سمو أخلاق ما رجع إليها ولما دخل عليها ولكنه ما إن وصل إلى بيته حتى قال " زملوني زملوني" وعلى الفور ومن دون إرهاق لذهن هو في الأصل قد أرهقه ما حدث له ومن إحساسه بالمسئولية التي ألقيت على كاهله. زملته واحتضنته ، وهدأت من روعه بكل سُبل الراحة والاستقبال الطيب الذي يبتغيه أي زوج من زوجة، فكان الوصف فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، إني لأتخيل لأم المؤمنين رضي الله عنها في تلك اللحظات التي زملت فيها المصطفى ثم انتظرت بجواره حتى ذهب روعه، أتخيلها تحتضنه ، تواسيه فعلاً وقولاً حتى هدأت نفسه، وكأن حضنها وحجرها كانا هما الملاذ الآمن لسيدنا محمد ﷺ عندما يخشى على نفسه.

ثم انتظرت وهي ثابتة " غير عَجِلَة ولا متحاملة ولم تنطق سوى بكلمة (ما بك) فحكى لها ما حدث ثم أعقب حكايته ﷺ بقوله " لقد خشيت على نفسي" جملة تستفز مشاعر امرأة تحب زوجها وهي ترى حبيبها يقول لها هذه الكلمات ومعنى الجملة أنه من شدة الإرهاق والتعب خشي على حياته التي كادت تنتهي من شدة ما حدث معه.

أو أنه خشي ألا يقوى على مقاومة هم الأمر ولا يقوى على حمل أعباء الوحي.[١]

فجمعت أم المؤمنين قواها، ورتبت الكلام في نفسها وانتقت أشرف الألفاظ في هذا الوقت الذي يهز الجبال ، ويدع الحكيم حيرانًا وقالت مجيبة على حبيبها "كلا والله لا يخزيك الله أبدًا" كلمة قوية جدًا جدًا كقوة النفس لقائلتها[٢] فتحتها " بكلا" النافية لما يحدث له من إحساس بالخشية على نفسه " فهي كلمة نفي وإبعاد وهذا أحد معانيها"[٣].

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام الثوري ٢٠/٢.
(٢) السابق بتصرف يسير.
(٣) السابق ٢٠٠/٢.

فطالما أن الفرد والجماعة في معية الله فلا يخزيه الله أبدًا يا لها من قوة تتمتع بها أم المؤمنين رضي الله عنها هذا حكم مسبق أصدرته تلك النفس العظيمة القوية مشتملًا على مؤكدات عدة ثم تدلل أم المؤمنين على حكمها بخمسة جمل أخرى هي خمس صفات اجتمعت في المصطفى ﷺمن ضمن صفات الكمال التي منحها الله له. على سبيل الاستئناف البياني . بدايتها " إنك لتصل الرحم إلى آخر هذه الجمل الجملة الأولى مؤكدة بإن واللام وما بعدها من الجمل معطوفة عليها فأخذ حكمها في التوكيد وما ذاك إلا لتثبيت قلب المصطفى ﷺ صلى الله عليه وسلم وتهدئه نفسه، ويظهر في هذا الموقف أن طبيعة أم المؤمنين الجلدة القوية جسورة القلب فهي تدخل بهذه الجمل لتعيد ترتيب تلك النفس التي أرهقها التعب وبداية استقبال الوحي.

والجمل الخمس علة لعدم خزيان ربه له وهنا خديجة . رضي الله عنها. تتكلم بالوحي قبل نزوله فهي تعلم أن "صنائع المعروف تقي مصارع السوء"(١) فهي تقسم لأنها متأكدة أن من كان فعّالًا للخير مغلاقًا للشر فإن الله لا يخزيه أبدًا.

ويظهر أيضًا اعتمادها في تهدئة نفسية المصطفى ﷺ أنها جمعت له جزءًا من صفات الخير فيه ووجهت نظره إليها فهي تضرب مثلًا لكل زوجات الدنيا أن من كانت منكن تحت رجل فلتبصر نفسها بمحاسنه ولتحدثه بها هذا درس عظيم في حياتنا الاجتماعية وددت لو أبرزته للناس.

وهنا سؤال لماذا بصرت أم المؤمنين سيدنا المصطفى ﷺ بهذه الجمل الخمس "تصل الرحم ، تحمل الكل ، تكسب المعدوم ، تقري الضيف ، تعين على نوائب الحق".

يلاحظ أن الخمس حالات السابقة كلها حالات تعبت نفوسها وأرهقت وأرقت . فالرحم المقطوعة نرهق وتستغيث كذلك الكَلَّ فإنه في مشقة ، كذلك

(١) أخرجه البيهقي في باب طلاقة الوجه وحسن البشر لمن يلقاه ٨٠٦١ ، ٦/٢٥٥.

المعدم فإنه في مشقة وإرهاق، كذلك الضيف في الغالب يكون قد أرهقه الجوع ومن يحاول إقامة الحق فإنه يكون في مشقة إذا كانت النفوس الخمس في مشقة وأنت تعينها وتقف بجوارها وتحاول تخفيف العبء عنها وتضع في هذه النفوس الطمأنينة وتبعث فيها الأمل وتزيل ما يقع لها من مشقة فإن الله لن يتركك ولن يخزيك وسيجازيك بمثل عملك وسيخفف عنك كما خففت عن غيرك وهذا نوع من التناسب بين سر اختيار هذه الصفات من أم المؤمنين لتهدئة نفس المصطفى ، وتبرز قدرة أم المؤمنين خديجة . رضي الله عنها- على مناسبة المقال للمقام، فهي تضع كل جملة في قرارها الذي لا تحيد عنه. فإن كنت تصل الرحم ، فإن ربك سيصلك وهذا مقام عال جدًا فلا تخشى، وأنت تحمل الكل ، فإن ربك سيحمل عنك ما ينوء به كاهلك، وتكسب المعدوم فإن الله سيغنيك عن الناس ولن يجعل لك حاجة عند أحد، وتقري الضعيف، فإن الله سيفيض عليك من نعمه وكرمه، وتعين على نوائب الحق فإن ربك سيؤيدك في الحق الذي ستحمله وتبلغه.وكأن أم المؤمنين تنطق بالوحي قبل نزوله مصدقة قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1] .

والله أعلم

(١) سورة الطور آية رقم (١٦).

المبحث الثالث

السلام على خديجة رضي اللّه عنها

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ :أُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :ﷺ يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّكَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها:اللَّهُ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلِ السَّلَامُ ".

هذا القول الشريف تتعانق فيه سحائب كرم الله سبحانه وتعالى لأم المؤمنين ـ رضي الله عنهاـ مع أدب التعامل مع هذا الكرم منها رضي الله عنها.

وهو شرف ما بعده شرف، سلسلة نورانية تبلغ الكاملة الماجدة بتشريف الله لها بأن سلم عليها، وهذا أمر على حد علم الباحث لم ينله أحد من النساء سواها، وسلسلة تبليغ السلام هي أمين السماء وأمين الأرض وهذا يبرز مكانة أم المؤمنين . رضي الله عنها . فالمسلِّمُ جليل وحامل السلام جليل والمحمول جليل ، إذن من ألقى عليها السلام لها مقام جليل ، تلك عطفة ربانية ، ونفحة إلهية إلى من حني ظهرها وهي تحمل عليه حِمْلَ الرسالة الغراء وتساند حبيبها في تبليغها لتصل إلى الأجيال غراء كما أنزلت ، فكان من جميل عطف الله أن يأخذ بتلابيب هذا القلب إلى عالم رحماته وجليل عطاياه فيبلغها السلام ، يالعظيم مكانتك يا أم!

يسوق النبي الكريم ﷺ هذا الخبر الفريد إلى أم المؤمنين رضوان الله عليها في أسلوب عذب سلسل يفتتحه بالنداء لينبهها ويلفت نظرها لأهمية الخبر وقيمته عند نفس القائل والمتلقي، وآثر استخدام أداة البعد بدلاً من أداة القرب مع أن المقام يقتضي استعمال الهمزة التي للقريب لقرب خديجة من النبي ﷺ لكنه آثر النداء بالباء للتعظيم ، والتعظيم هذا مشتق من عظم السلام من رب العالمين على الكاملة الماجدة رضي الله عنها ثم ناداها المصطفى ﷺ باسمها

دون لقب أو كنية وهذا تلذذًا بذكرها على لسان المصطفى ﷺ وزيادة في شرفها "هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّكَ" جملة خبرية قالها الصادق عن الصادق عن ذي الجلال والإكرام ينقل بها خبرًا لأم المؤمنين ، عساها تستأنس، وتحس بشرف فضلها وعلو مكانتها في الإسلام إذ هي روت النبتة الأولى بماء صبرها وتجلدها ومساندتها لصاحب الرسالة هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّكَ، وهذا المشهد لو تمثلناه وافترضنا أن شيخًا من مشايخنا الكبار أرسل سلامًا إلى أحد تلاميذه مع بعض الناس لأفصح ذلك عن مكانة التلميذ عند شيخه وحبه له ولله المثل الأعلى ولخديجة الشرف العالي في هذا السلام.

والسؤال لماذا سلم الله على خديجة ـ رضي الله عنها ـ؟

يرى الباحث أن السلام يحمل في معناه الطمأنينة والهدوء والسكينة فإن الله يوحي إليها أن تطمئن وتسكن وتهدأ ولا تشغل بالها بهم أو تعب، وكأن هذا السلام بمثابة الغسل والإزالة للهم والتعب الذين يسيطران على قلب أي أحد صاحب رسالة. فترد خديجة رضي الله عنها " الله السلام" جملة خبرية تقرر معنى استقر في نفسها وأزيلت عنه الشكوك مع قرب عهدها بهذه المعرفة ولكن إيمانها جعلها تطلق هذه الجملة التي ساقتها خبرية فيها القصر بتعريف الطرفين أي أن هذا القصر صادق لا يقبل الكذب فالله هو مصدر السلام سبحانه وتعالى ولا سلام إلا تحت عظمته وإمرته وإذا كانت كل العصور على اختلاف توجهاتها وتغيرات عصرها تبحث عن السلام فإن أم المؤمنين خديجة . رضي الله عنها. وضعت لنا ولكل الأمم منهجًا في البحث عن السلام بأن الله هو السلام فإذا أردت السلام فالجأ إلى مصدر السلام وكأنها تقول بأن المنهج المبتعد عن الله المستمد مادته من غير الله هو منهج بلا سلام بل هو منهج ملئ بالخوف محفوف بمخاطر البشرية محكوم عليه بالفشل . فهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قريبة العهد بمعرفة ربها تعرف أنه هو فقط من يصلح خلقه ويعرف ما يصلحهم فهو السلام لا غيره.

ثم عقبت بجملة " ومنه السلام " أسلوب قصر آخر بتقديم المسند على المسند إليه لتثني على الله بما هو أهله في الجملة السابقة ثم لقصر السلام على منهج الله دون سواه وكأنه ثناء بعد ثناء على الله عز وجل هذا أدب ينتشر في كلام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فقد وضح وظهر من أدبها مع صاحب الرسالة محمد ﷺ . فهي أحرى بالأدب مع رب العزة سبحانه وتعالى ويتمثل هذا ويدلل عليه بما يخرج من فمها في الثناء على من يعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى وكأنها ترد على الجهال في كل الأزمان والأمكنة بهذا القصر وتقرر هذه الحقيقة بالجملة الخبرية التي يصدقها الواقع لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.

فأم المؤمنين ترسم المنهج الذي يتعامل به مع الله وهذا هو دأب الكبار ، وديدنهم بل تلك سجية جبلوا عليها والوصل بين جملة "الله السلام" وجملة "ومنه السلام" للتوسط بين الكمالين ، فالأولى خبرية لفظًا ومعنى والثانية خبرية لفظًا ومعنى، وبنيا على أسلوب القصر، ويفيدان أن الله هو السلام صفة قداسته وعظمته وأن السلام لا يكون إلا منه ولا يكون إلا بتنزيله، فمن أراد السلام فعليه بما شرعه الله لعباده، وكما أثنت خديجة على من سلم عليها بما هو أهله ، متّأدبة بأدب قل نظيره بل يكاد ينعدم.

ولم تنس من جميل أدبها من حمل إليها السلام وهو جبريل عليه السلام فقالت للمصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى جبريل عليه السلام ولم تقل وأبلغ جبريل السلام أدبًا مع زوجها المعصوم ﷺ فهي تعرف الفرق بين مقامها ومقام النبي ﷺ فلا تحمله السلام أدبًا . وهنا هي تقول لنا إن لمبلغ الخير له من الخير نصيب.

والله أعلم

المبحث الرابع

سؤال خديجة للنبي ﷺ هل في الجنة قصب

قَالَت خَدِيْجَةُ[1] : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ فِيْ الجَنَّةِ قَصَبٌ ؟[2] فقال : إِنَّـهُ مِنْ لُؤلُؤٍ مُجَبَّي".

إن السؤال يكشف عن عقل صاحبه ، وينبئ من خبايا نفس قائله وقيمة السؤال تكمن في المحتوى الذي يتضمنه ففي هذا القول الشريف لأم المؤمنين رضي الله عنها سؤال للمصطفى من محتوى شريف جاء على طريق حوار بينها وبين النبي هي تسأل والنبي ﷺ يجيب. سألته : هل في الجنة "قصب" مدخلة أداة الاستفهام (هل) على الجار والمجرور متقدمًا على المبتدأ وهل لها مزيد اختصاص بفعل بعدها لأنها تستعمل للتصديق[3] لكنها حذفت الفعل وأدخلت هل على الجار والمجرور ففي الجملة إيجاز بحذف الفعل ، وهي هنا تراعي حال المخاطب فهو من ملك زمام الكلام فلا حاجة للتطويل في حضرته ﷺ . وتعدية الجار والمجرور وهو في الجنة فهي كأنها تتمناها ثم تسأل عن القصب كأنها تتمناه أيضًا وهذان أمران في غاية الأهمية لمن نفض يديه من الدنيا ولم يعد لها قيمة في عينيه فهي تسأل عن الجنة وعن الموجود فيها "القصب".

(١) الروض الأنف للسهيلي ٤٢٥/٢ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط١ – ١٤١٢هـ.

(٢) القصب: من الجوهر: ما كان مستطيلًا أجوفًا . وقيل القصب أنابيب من الجوهر. قال ابن الأثير، والقصب من الجوهر : ما استطال منه في تجويف . قال ابن الأعرابي: القصب ها هنا الدر الرطب ، الزبرجد الرطب المرصع بالياقوت – لسان العرب مادة (قصب).

(٣) الإيضاح : ٤٥/١.

يكشف السؤال عن تلك العقلية الفذة التي باعت كل ما تملك لتشتري رضا ربها ولم يعد عندها اهتمام بأي شيء سوى الجنة وما فيها ، إن النفسية التي تخرج هذا السؤال بهذه الطريقة نفسية الطامع في عفو الله وكرمه الذي عرفه حق معرفته.

وهناك رواية أخرى تقول " بشروا خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصب" (١) وبالنظر في الحديثين الشريفين يظهر سؤال للعين هل البشرى بالبيت من قصب قبل سؤال خديجة عما في الجنة أم بعده؟

وقد حاولت البحث عن أسبق القولين حتى يجيب الباحث عن السؤال ولم أقف على شيء، فعمدت إلى القولين ، ووقفت معهما حتى أرى أيهما أسبق ، فوقع لي أن السؤال كان قبل البشرى، وذلك يتضح من أن خديجة رضي الله عنها كانت تسرح بفكرها فيما أعده الله لعباده من خير في الآخرة، وقد ملأ الإيمان قلبها، فسألت النبي ﷺ عما في الجنة وهو القصب فجاءت البشرى بعد ذلك لخديجة تعويضًا لها عما بذلته في بناء أول بيت إسلامي وهذا ما يراه الباحث ترتيبًا للأحداث ولتبين منزلة خديجة رضي الله عنها عند ربها فإذا ما تمنت شيئًا أعطاها الله إياه وكان الله يسارع في هواها ويكشف السؤال عن القصب في الجنة عن شخصية أم المؤمنين رضوان الله عليها، فهي الطبيعة التي بنيت عليها شخصيتها من حبها للبناء وتكوين البيوت الهادئة المبنية على الأسس السليمة العالية الغالية ، ولعل هذا نوع من التناسب الذي يفرض نفسه على المقام ببشرى خديجة بيت من قصب فيقال إن خديجة قد أحرزت قصب السبق في الإسلام إيمانًا ومكانة فهي التي بنت أول بيت في الإسلام على أكمل الأسس وأعلاها فناسبها في الجنة أن تكون صاحبة بيت في الجنة كما كانت في الدنيا حتى يناسب الكلام المقام.

(١) أخرجه البخاري في باب متى يحل للمعتمر رقم ١٧٩٢ ح٦/٣.

ثم جاءت إجابة المصطفى ﷺ على نهج السؤال نفسه إذ لم يجب نعم في الجنة قصب ولكن أجاب إنه من لؤلؤ مجبي إجابة بأسلوب خبري يغني عن تطويل في الكلام وحشو لا طائل فيه إن ما تسألين عنه في الجنة وهو من لؤلؤ مجبي إجابة تزيد النفس رغبة فهو لم يجب بالإثبات أو النفي إنما أجاب بنوع القصب معنى ذلك أنه موجود وذكر لها نوعه ليأخذ بنفس السائلة إلى هذا العالم من الطمع في الله وفي كرمه والتأكيد بإن أضفى على المعنى جمالًا فهو قد جاء بإن المؤكدة لتزيل من نفس السائل الشك وترفع الوهم وتؤكد الوجود فإذا كان السؤال قد صيغ بطريقة عجيبة فإن الإجابة أعجب .

والله أعلم

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه التطوافة الوجيزة مع كلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها يطيب للباحث أن يشير إلى بعض النتائج التي وقف عليها من خلال كلامها رضوان الله عليها.

- أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها وأرضاها تدرس الأدب في كلامها مع المصطفى ﷺ وتحافظ على مشاعره وتنتقي أشرف الألفاظ للتعبير عما في داخلها من معان.
- أن أم المؤمنين كان إيمانها عن يقين غيبي وآثرت الإيمان بالغيب عن إيمان العيان حتى تكون في مرتبة عالية.
- تستخدم أم المؤمنين لغة لينة عذبة كاستخدامها لكلمة "درت – لبينة ... إلخ وخلافهما من الكلمات التي تعبر عن أشياء هي من طبائع النساء.
- أن أم المؤمنين رضوان الله عليها تراعي علم التناسب في كلامها ليتناسب كلامها مع المقام الذي تتحدث فيه كاستخدامها "إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، تكسب المعدوم، .. إلخ.
- قدأحرزت أم المؤمنين رضوان الله عليها قصب السبق في الإسلام إيمانًا ومكانة فكأن جزاؤها من جنس عملها أن لها بيتًا من قصب.
- تميزت لغتها بالإيجاز الشديد بحيث تحذف ما يفهم من الكلام وتعتمد على قدرة المخاطب وتجمع كثيرًا من الأسئلة في سؤال واحد.
- ظهرت قدرة أم المؤمنين رضوان الله عليها في الحكم على الأسئلة من خلال فهمها وخبرتها وذلك واضح جدًا من منطقيتها في التعامل مع موقف التعرف على من يأت النبي ﷺ أملك أم غيره.

- أبرزت الدراسة سرعة استجابة خديجة أم المؤمنين رضي الله عليها للإيمان بما رأت من آيات في حياة المصطفى ﷺ.
- أبرزت الدراسة قوة أساليب أم المؤمنين في استخدامها للألفاظ القوية وأساليب التوكيد للتعبير عما آمنت به واستقر في قلبها كقولها "والله ما يخزيك الله أبدًا" وقولها "هذا والله ملك كريم والله ما هذا شيطان".
- متابعة أم المؤمنين لتصرفات المصطفى ﷺ وتفاصيل حياته اليومية ورعايتها له رعاية تامة في كل شيء وتحمل هم الرسالة معه ومشاركتها له في كل شئ.
- اهتمت أم المؤمنين ببناء أول بيت في الإسلام على الأسس القويمة ووضح ذلك في لغتها ومعظم أسئلتها للمصطفى وحوارها كان يدور في هذا الشأن.

ثبت بكلام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها الذي توفر بين يدي الباحث

١. روي ابن ماجة عن الحسين بن علي ﷺ قال : لما توفى القاسم ابن رسول الله قالت خديجة:

لَمَّا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ . ﷺ ـ قَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها : وددت لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رَضَاعَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ . " إِنَّ تَمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ " . قَالَتْ : لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهَوَّنَ عَلَىَّ أَمْرَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ: " إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ لك يُسْمِعَكِ صَوْتَهُ " . قَالَتْ : " بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ".

٢ـ عن أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، عَنْ أم المؤمنين خَدِيجَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ : قلت : لرسول الله ، يَا ابْنَ عَمَّ ، أَتَسْتَطِيعُ إِذَا جَاءَكَ الَّذِي يَأْتيكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بهَ ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَتْ خَدِيجَةُ : فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيه السَّلَام ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا عِنْدَهِ ، فَقَالَ: « يَا خَدِيجَة هَذا صَاحِبي الَّذي يَأْتِيني قَدْ جَاء » ، فَقُلت لَهُ : قُمْ فَاجْلِس عَلَى فَخْذَيّ، فَجَلَس عَليهما،

فَقُلْتُ: هَلْ تَرَاه ؟ فقال: نَعَم. فَقُلْتُ: تَحَوّل فَاْجلِسْ عَلَى فَخْذِي اليُسْرَىٰ، فَجَلَسَ، فَقُلْتُ: هَلْ تَرَاهُ؟ فَقَالَ: « نَعَمْ ». قَالَتْ خَدِيْجَة : فَتَحَسِرْتُ فَطَرَحْتُ خِمَارِي، فَقُلْتُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قال: «لا» . فَقُلْتُ: هَذَا واللهِ مَلَكٌ كَرِيْمٌ ، واللهِ مَا هَذَا شَيْطَانٌ.

٣ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ مِنْ رَبِّكَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها :اللَّهُ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلِ السَّلَامُ" .

٤. حدثنا أحمد بن عبد الجبار يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت : " لَمَّا أَبْطَأَ الوَحْيُ على رسول الله ﷺ جَزِعَ مِنْ ذَلِكَ جَزَعًا شَدِيْدًا فَقُلْتُ لَهُ مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ، لَقَد قَلاكَ رَبُّكَ مِمَّا تَرىٰ مِنْ جَزَعِكَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ : "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى".

٥ـ قَالَت خَدِيْجَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ فِيْ الجَنَّةِ قَصَبٌ ؟ فقال ﷺ : إِنَّهُ مِنْ لُؤلُؤٍ مُجَبَّي".

٦ـ عن راشد بن سعد قال : قالت خديجة : يا رسول الله أولادي منك في الإسلام قال " في الجنة قالت بلا عمل ؛ قال : " الله أعلم بما كانوا عاملين، قالت: يا رسول الله فأولادي من غيرك قال: في النار قالت: بلا عمل؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين.

٧. قالت خديجة رضي الله عنها يا رسول الله ما أقول وأنا أطوف بالبيت قال قولي : "اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي وعمدي وإسرافي في أمري إنك إلا تغفر لي تهلكني".

٨. عن عَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ أنها قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ

فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ– وَهُوَ التَّعَبُّدُ– اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِيءٍ". قَالَ :"فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ، مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِين عَلَى نَوَائِبِ الْحَقّ"

ثبت بالمصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

١ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن محمد القسطلاني المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.

٢. أسباب النزول للواحدي ت عصام الحميدان – دار الإصلاح الدمام الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣ـ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأقوال والحق والمتاع للمقريزي ت محمد بن عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤. بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي مطبعة الآداب.

٥ـ التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد ، محمد الطاهر بن عاشور – دار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.

٦. ذخيرة العقبي في شرح المجتبي على سنن النسائي محمد بن علي الإثيوبي دار المعراج الدولية للنشر الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٧ـ الذرية الطاهرة للإمام أبو بشر الدولابي ت سعد المبارك الحسن الدار السلفية – الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٨ـ الروض الأنف للإمام السهيلي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٩ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ أو المعاد للشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ت عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٠ـ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي دار الحديث القاهرة سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١١. فتح الباري لشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط. دار المعرفة بيروت ت محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢. لسان العرب طبيعة الكترونية في موقع الباحث العربي متوفر في Google.

١٣ـ المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح البخاري لشمس الدين السفيري ت أحمد فتحي عبد الرحيم – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٤ـ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	١٢٣
٢	التمهيد	١٢٦
٣	المبحث الأول: خديجة أم المؤمنين أماً	١٢٩
٤	المبحث الثاني: خديجة أم المؤمنين وإرساء قواعد الإسلام	١٣٦
٥	المبحث الثالث: السلام على خديجة رضي الله عنها	١٤٦
٦	المبحث الرابع: سؤال أم المؤمنين خديجة للنبي ﷺ "هل في الجنة قصب"	١٤٩
٧	الخاتمة والنتائج	١٥٢
٨	ثبت بكلام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها	١٥٣
٩	ثبت بالمصادر والمراجع	١٥٦
١٠	فهرس الموضوعات	١٥٨